

قضايا الأدب الإسلامي المعاصر

الدكتور يعقوب الحاج عبد الله

قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا

yaqub.abdullahi@yahoo.com 08058035554

المقدمة

إن من طبيعة كل فن جديد أن يثير جدلا ونقاشا وتساؤلات، وخاصة في سبيل تحديد مساره ومنهجه وغايته. فالأدب الإسلامي كنظرية أدبية ظهرت في الساحات الأدبية في هذا العصر، وإن كان له جذور أصيلة ومنبع عتيق وأساس وطيد ومحضن صحيح نشأ فيه، ما زال بحاجة إلى تجنيد الطاقات وتبذيل الجهود في سبيل بيان مفهومه، وشرح قضاياها وتحديد مساره، سعيا لإفهام القراء المشتاقين في فهم قضاياها، وطلبا لإقناع بعض المعترضين. وربما يقول بعض النقاد إنه لا حاجة لهم في التنظير وسرد المفهومات حول الأدب الإسلامي مثلما تطلب الحاجة إلى عرض النماذج والدراسة التطبيقية للإنتاجات الإسلامية. فهذا القول صحيح إلى حد ما، لكن قضايا هذا الأدب ومعامله ما زالت غير واضحة لدى بعض الغيورين عليه من الدارسين أو طلبة العلم، الذين ينتظر منهم الإبداعات الفنية والإنتاجات الأدبية القيمة، والدراسات النقدية البناءة، لذا نرى الحاجة إلى الوقوف على بعض قضاياها موضحين ومناقشين. ومن هنا يسعى هذا البحث إلى عرض بعض القضايا المتعلقة بالأدب الإسلامي المتمثلة في تعريفه وظهور المصطلح، وبمجالته، وخصائصه، ولغته والقيم الجمالية فيه، ثم الخاتمة.

تعريف الأدب الإسلامي:

عرف كثير من المهتمين بالأدب الإسلامي هذا الأدب بتعريفات متعددة، ترجع كلها إلى مفهوم وتصور إسلامي لماهية الفن والكلمة الطيبة المؤثرة الموجهة إلى الخير والمنفعة. عرفه الباشا بأنه: "هو التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان تعبيرا ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته"⁽¹⁾.

يقول قطب: "هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان."^(٢)

وعند بريغش فهو التعبير الفني الجميل للأديب المسلم عن تجربته في الحياة من خلال التصور الإسلامي."^(٣)

إذا أمعنا النظر في التعريفات السابقة نجد أنها تشترط لأي إنتاج أدبي ينتمي إلى الأدب الإسلامي شرطين: الأول: أن يكون تعبيراً جميلاً عن الحياة والكون والإنسان، والثاني: أن يكون هذا التعبير نابعا من خلال التصور الإسلامي الصحيح. وكما يستنتج من اشتراط كون التعبير نابعا عن التصور الإسلامي أن الذي بقدرته واستطاعته أن يصدر في تعبيره وأفكاره عن التصور الإسلامي ومفهومه هو الأديب المسلم الذي عاش تجربة إسلامية مؤمنا بشريعة الله عقيدة وسلوكاً ومنهجاً، وحي حياة يملؤها الاستسلام لله والطاعة لرسوله، مقتنعا ومنشطا.

لكن قد يتفق هذا الأديب أو ذاك من الأدباء غير المسلمين مع التصور الإسلامي في التعبير عن واقع من الوقائع الحياتية، أو يلتقي معه في فكرة أو أفكار، التقاء كلياً أو جزئياً، فيقبل أدبه في ضمن النصوص الأدبية الإسلامية، مع توضيح موقف الإسلام من القاعدة الفكرية التي ينتمي إليها هؤلاء الأدباء، هذه القاعدة التي لم تنعكس في هذا المرة على أديهم.^(٤)

وبهذا فالأدب الإسلامي أدب عالمي يستمد عالميته من عالمية الإسلام، فبابه مفتوح للبشرية كلها، لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان ويلتقي معه من حيث هو إنسان، ومن ثم يستطيع أي إنسان أن يتجاوب مع هذا التصور الإسلامي، ويلتقي الحياة من خلاله بمقدار ما تطيق نفسه هذا التلقي وذلك التجاوب.^(٥)

لكن يتحاشى بعض دعاة الأدب الإسلامي من إطلاق كلمة الأدب الإسلامي على إنتاج الأدباء غير مسلمين مهما كانت خط التقاء مع التصور الإسلامي، منهم بريغش، فيرى أديهم أدب محايد أو أدب الفطرة السوية أو أدب موافق للإسلام. ولهذا الموقف سر في ربطه التعبير الجميل بالأديب المسلم في تعريفه السابق للأدب الإسلامي، ومما قاله في هذا الصدد^(٦):

"الأدب الإسلامي يصدر عن حياة إسلامية وتجربة إسلامية، إنه أدب يتسم بالصدق والوضوح والالتزام بالإسلام فيوسع صوره، وأبعد مراميه، لأنه يصدر عن التصور الإسلامي المرتبط ارتباطا عضويا بالسلوك والنشاط الإنساني والعلاقات الإنسانية المختلفة، وكل أعمال الإنسان كارتباطه بالعقيدة ذاتها، إنه يصور تجربة الإنسان المسلم، لذلك لا أتصور أدبا إسلاميا ينتجه ملاحدة، أو فسدة مارقون من الدين، أو ماديون خبيثاء، أو ينتجه الضائعون الذين تلبس عليهم الصور، فيخلطون بين الوثنية والإسلام، أو يخلطون بين شرع الله وتخططات البشر في الآراء والفلسفة".

وموقفنا هو أنه إذا كان الأدب الإسلامي لا يتردد في رفض إنتاج أدبي لأي مسلم خالفت فكرته وتصوره التصور الإسلامي الصحيح، فلا يضيق عن قبول إنتاجات أدباء غير مسلمين كلما اتفقت فكرتهم وتصورهم مع التصور الإسلامي. وهذا الموقف كما قال الدكتور شلاتاغ عبود شراد يعطي الأدب الإسلامي بعدا عالميا، ويوسع مساحته المكانية فيشمل أدب الشعوب غير الإسلامية في قارات الدنيا الأخرى كلما التقى أدبها بالتصور الإسلامي للحياة.^(٧)

مصطلح الأدب الإسلامي:

لقد ظهر مصطلح الأدب الإسلامي والدعوة إليه في ضمن الدعوات الإسلامية والدعوة لاحتكام المسلمين إلى الإسلام في مجال الحياة كلها، الحياة السياسية، والحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية والحياة التعليمية والإعلامية وغيرها، وتمثل الدعوة يقظة الأمة المسلمة من نومها العميق، ورجوع إلى شريعة الله الخالصة من الشوائب والانحراف، والسير على منهج الله المستقيم، حين كان الإسلام مقصورا في شعائر تعبدية، لا علاقة له بالحياة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو التعليمية. فظهر مصطلح الأدب الإسلامي كظهور غيره من مصطلحات إسلامية، مثل الاقتصاد الإسلامي والحكم الإسلامي، والتاريخ الإسلامي، والسياسة الإسلامية و البنك الإسلامي، وغيرها.

ويعتبر سيد قطب أول من أطلق مصطلح الأدب الإسلامي عام ١٩٥٢م وكان يريد به التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية، ثم جاء محمد قطب ليؤكد المصطلح،^(٨) وتلاهما كتاب معاصرون، منهم الدكتور نجيب الكيلاني والدكتور عماد الدين خليل، والدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا، وأبو الحسن الندوي وغيرهم، وكان ذلك حين أدركوا أنهم بحاجة إلى أن يقدموا للناس الوعي الإسلامي في حلل الأدب الرفيع الذي تلذه النفوس وتشتاقه القلوب، ولما رأوا من استخدام أعداء الإسلام السلاح الأدبي لتضليل الناس وإشاعة الانحلال والانحراف، وتشويه المفاهيم، فدعوا إلى إقامة أدب إسلامي والعناية به، ومما قاله أحد دعاة الأدب الإسلامي: "إذا كنا نريد التصدي لهذا الغزو الهائل من الفنون المنحرفة التي تشيع الإباحية والانحلال بين الناس، فلا يكون ذلك باستنكارها أو الإعراض عنها، ولا يتحقق بالصراخ والعويل، وإنما يكون ذلك بالعمل الإيجابي البناء، وذلك بأن نواجه الأدب الذي لا نريد والذي نريد".^(٩)

وليس الأدب الإسلامي أدب فترة معينة من العصور الأدبية، بل هو أدب ممكن أن يوجد في كل عصر من التاريخ، فهو أدب يرافق كل مرحلة يكون الإسلام سائدا في إنتاجها الأدبي، فهو نقيض الأدب الجاهلي، الذي يعبر عن الجاهلية التي هي حالة تصحب مسيرة الحياة الإنسانية حينما تبتعد عن منهج الخالق الباري المصور، وتبنى مفاهيم وضعية بشرية.^(١٠) يتحرج بعض الناس من إطلاق الأدب الإسلامي بالدليل أن هذه التسمية تؤدي إلى تشتيت الإنتاجات الأدبية إلى وجود أدب إسلامي وآخر غير إسلامي، بينما يرى البعض أن هذه التسمية ما هي إلا تحصيل الحاصل، إذ الآداب في العالم الإسلامي كلها إسلامية. فنحيب على هذه الدعاوى بأن الأدب إنتاج إنساني، يكون إسلاميا إذا كان صادرا عن تصور إسلامي، وغير إسلامي إذا خالفت تصوره وخرج عن قيمه ومفاهيمه في التعبير عن الحياة والإنسان. وإطلاق الأدب الإسلامي كإطلاق الأمة الإسلامية أو الحياة الإسلامية، ولا نحسب أن أحدا يشعر بخرج أو مضايقة من إطلاق مصطلح الأمة الإسلامية أو الحياة الإسلامية. وإن الأديب المسلم يشعر بالعزة كلما ربط نشاطه الأدبي بالإسلام. وإذا كان غير مسلم لا يتحرج في

نسب أدبه إلى معتقداته، مثل: أدب تبشيري وأدب وجودي، وأدب اشتراكي، وأدب طبيعي، وأدب واقعي، فكيف بالمسلم الذي يعرف أن أعماله كلها يثاب عليها بما فيها عمله الأدبي. أما المقول بأن الأعمال الأدبية منذ عصر صدر الإسلام إلى عصرنا الحاضر كلها إسلامية فلا يكون صحيحا، فخمريات أبي نواس وغزلياته في العصر العباسي أدب غير إسلامي، وفلسفات أبي العلاء المعري عن الحياة والإنسان تخالف تصور الإسلام الصحيح، وكذلك بشار بن برد في انحرافات الخلقية وشذوذه، والمتنبي في مبالغته. فمن المحتمل أنه يوجد في كل عصر أدباء ملتزمون بالإسلام، وآخرون غير ملتزمين به، فأدب الأدباء الملتزمين بالإسلام في أعمالهم الأدبية أدب إسلامي، وأدب الأدباء غير الملتزمين بالإسلام في إنتاجاتهم الأدبية أدب غير إسلامي.

مجالات الأدب الإسلامي:

إن مجالات الأدب الإسلامي واسعة وموضوعاته متعددة، لا تعرف الحدود، فالوجود كلها مجاله والعالم كله موضوعه، والحياة كلها رصيده، والحوادث كلها معينه، وتتمثل مجالاته في جميع جوانب حياة الإنسان والكون والطبيعة.

فالإنسان في الأدب الإسلامي كائن حي خلق ليحقق الغاية السامية، وهي أن يكون خليفة الله في الأرض وإخلاص العباد لله تعالى، فيسمو إلى تحقيق هذه الغاية مرة، ويهبط أحيانا فريسة للهوى الشيطاني، فيصور الأدب الإسلامي هذا الإنسان بعواطفه وأشواقه وآماله وآلامه، ويعرف خيراته وحسناته، ويصف عدله وحبه وشفقته، ويبرز صوابه واستقامته، ولا يضيق عن لخطات ضعفه وجوانب النقص والانحلال الخلقي فيه، ويرسم شذوذه وانحرافه وتخطاته في عالم الشهوات وأمام إغراء الشيطان، لكن لا يعالج مواقف ضعفه وشذوذه ليجعله بطولة يستحق هتافا وإعجابا، أو يصوره كنموذج أخلاقية للإنسانية، بل يعالج تلك المواقف والحالات على أنها لحظة من لحظات الضعف والانحزام في الإنسان، وأنها هبوط وتأخر وإثم، ثم يعقبها الندامة والتوبة والرجوع إلى الصراط السوي.^(١١)

وتناول الأدب الإسلامي القضايا الدينية بإبراز مواقفها المختلفة، ووصف قيمها وعمقها، والتغني بالشعائر والتعاليم الإسلامية، يعرض رجال الدين في صورة المثل العليا والقُدوة الحسنة، ويناقش

كذلك الجوانب الاجتماعية الأخرى، يصور الصراع الطبقي، ويصف الترعات القومية والفردية من خلال التصور الإسلامي، سعيًا لبناء المجتمع الأعلى يسوده السعادة والأمن والحب. ويراقب الأدب الإسلامي الحياة السياسية السائدة في المجتمع، متناولًا شخصياتها وممثلها بالنقد والتوجيه، ولا يكون صدى لحزب من الأحزاب أو زيلًا لرئيس أو حاكم، ولا مانع أن يكن مؤيدًا لكل سياسة ترضي الله ورسوله، كما لا يغفل عن الحياة الاقتصادية، يصف آلام الفقراء والمظلومين، ويبرز صنيع الأثرياء المحسنين منهم والممسكين المضطهدين. وكذلك يقف الأدب الإسلامي عند الكون فيصور بره وبحره وأرضه وسماؤه، ويجلي هذا الأدب حقائق الطبيعة، بتصوير أشجارها من طيرها السابح وحيوانها السارح، وربيعها الجميل وشتائها العاصف ومطرها وأشجارها وما إلى ذلك.^(١٢)

ومن وجه آخر فإن مجالات الأدب الإسلامي لا تقتصر على هذه الحياة القصيرة بل تتجاوزها إلى حياة الآخرة التي يثول إليها الإنسان، وهو عالم رحب، فيصور الأديب المسلم حياة القبر والبرزخ، ومواقف الحشر والحساب، والمصير الأخير، الجنة أو النار. وكل هذه الحياة والمواقف ذات أثر كبير في أدبه وتعطيه شعورًا وأفكارًا تمتد له إلى تركيب الصور التي لا يصل إليها غيره من الأدباء، إذ الآيات القرآنية التي يقرأها تأثر فيه وتشكل أفكاره وتغذي صوره، وهو بالتالي يملك الأداة والفن لتصوير هذه الحياة في صورة أحسن من غيره.

ولا يخفت صوت الأدب الإسلامي في معالجة علاقة بين الجنسين، لكن يكون ذلك من خلال تصور الإسلام لهذه العلاقة، ومن خلال رفع الرجل والمرأة إلى مستوى إنسانية بعيدا عن الغريزة الحيوانية، يتحدث عن كل حب نقي لا فسوق فيه ولا عصيان، ويقف عند تقلبات عواطف الحب بين التأجج والفتور، وبين الجذب والخمول في حدود النظافة والنقاء، ولا يترك الحديث عن الحب المتدني الوضع، لكن يأخذ من تسجيله رغبة في بيان بشاعة هذا الواقع، سعيًا إلى إعلاءه والسمو به، لا رغبة في التمتع به أو تأثيره على القراء.^(١٣)

أما فنون الأدب الإسلامي فتتمثل في الفنون الأدبية كلها، من قصيدة ومقالة وقصة ورواية، ومسرحية وخطبة ورسالة وغيرها. يراعي الأدباء الأوضاع الاجتماعية لاختيار الفنون الأدبية كما

يراعي في ذلك الميول الفردية، والرغبة والموهبة. ولا يغفل المهتمون بالأدب الإسلامي تشغيل الوسائل الإعلامية من السينما والتلفزيون لإزاعة طرائف الأدب، وتوجيه المجتمع إلى الخير والاستقامة في حلل الأدب الرفيع والفن الجميل، كما يشتغلها غيرهم من ذوي الأديان الأخرى. ومن يتتبع الأوضاع الاجتماعية في العصر الراهن يدرك ما للفنون النثرية مثل القصة والمسرحية من المواجهة والانبهار. وكأن نجم الأشعار والقصائد أفلت وطلعت نجم القصص والروايات والمسرحيات، وكفى شهادة على ذلك ما نشاهد من ازدهار الجمهور على أبواب الدكاكين لاشتراء مسجلاتها أو اكترائها، ومراقبتهم أيام عرض القصص والمسرحيات وأوقاتها على شاشات التلفزيون والسينما. وعليه يجب تجنيد الطاقات في تأليف القصص والروايات والمسرحيات الإسلامية، بل ذلك من الواجب الإسلامي، خاصة إذا نظرنا إلى نوعية القصص والمسرحيات التي تزداد في أوساط مجتمعاتنا اليوم، التي لاتحمل الرؤية الإسلامية ولا تعبر عن أخلاقيته بقدر ما تشوه المفاهيم وتذيع الانحرافات والشذوذ.

خصائص الأدب الإسلامي:

للأدب الإسلامي خصائص كثيرة تميزه عن غيره من الآداب، لكونه أدب الإنسان بكل أجناسه وأدب العصور باختلافها وأدب العالم بكل أبعاده، وهو أدب المنهج الإلهي الخالد. ونذكر أهم هذه الخصائص فيما يلي:

- ١- إن الأدب الإسلامي أدب غائي، لا يجعل الأدب غاية لذاته وإنما يجعله وسيلة إلى الغاية، فغاياته ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في صدور الناس، وتأصيل القيم الفاضلة في النفوس البشرية، والتنفير عن الانحرافات والشذوذ والشرائط.^(١٤)
- ٢- فهو أدب متكامل ومتوازن، فيه معادلة بين المضمون والشكل، فلا المضمون وحده يبدع أدبا إسلاميا، يغني الأفتدة ويثير المشاعر، ولا الشكل وحده ينتج أدبا إسلاميا يثري العقول ويحرك الوجدان، فلا تضخيم فيه على جانب على حساب آخر.
- ٣- إنه أدب فعال مؤثر، يساهم في تحريك المشاعر العليا عند القراء وإثارة تفكيرهم السامي، وإيقاظ الروح الإسلامية فيهم.

٤- إنه أدب الإنسان، يتحدث عن فطرته السوية وأشواقه وأحلامه، وتجاربه ومشكلاته، ويصور قضاياها كلها، لا يتوجه إلى قضية واحدة، ولا يؤثر جانباً ويترك جوانب أخرى، يذكر خيره وعدله وحبه واستقامته، كما يتعرض لحالات الضعف والهبوط والعجز فيه.

٥- إنه أدب الحياة، يضع في حسابه الغايات البعيدة للحياة الإنسانية، ويدرك أنه مرتبطة بحياة أخرى، تتعدى حدود الدنيا إلى الآخرة، يصور الحياة ويرسمها وهو يعرف أن قدر الله هو المسير لهذه الحياة، وهذا القدر يجري من خلال السنن المعينة والمنضبطة، ومن قدر الله أن يكون للإنسان فاعلية في الحياة من دون التناقض بين فاعلية قدر الله وفاعلية النشاط الإنساني، إذ السنن الربانية هي التي قضت بأن تكون فاعلية الإنسان جزءاً من هذا القدر.^(١٥)

٦- إنه أدب الأصالة، تستمد مقوماتها وخصائصها من التصور الثابت الشامل، والتراث الصحيح النقي، والتميز الخاص للفرد المسلم الذي يحمل رسالة في الحياة، وتستند الأصالة إلى عقيدة واضحة وقيم ثابتة وتراث ممتد عبر القرون، تلك الأصالة التي تؤتي الأديب ألواناً من الحرية والإبداع والطلاقة.^(١٦)

القيم الجمالية:

إن إنتاجاً أدبياً يتكون من ثلاثة عناصر: الفكرة والعاطفة والجمال، وموقف الأدب الإسلامي من هذه الثلاثة هو موقف حيادي اعتدالي، من غير تضخيم عنصر منها على آخر، وإنه يشترط لقبول إنتاج أدبي في دائرة الأدب أن يتوفر فيه الجمال الفني، ونعني بالجمال الفني تأدية الأديب معناه في ثوب قشيب وأساليب رفيعة، متسمة بالإبداع الفني وجمال التعبير، ما يؤثر في الوجدان ويحرك القلوب، ويوقد المشاعر، ويقود إلى العمل وتغيير السلوك.

فالأدب الإسلامي ليس مجرد التعبير عن الفكر والحق والوعظ، بل يجب إبراز هذا الحق والفكر والوعظ في اللفظ الجميل وجمال التعبير والأسلوب الفني المؤثر، وإلا لم يعد في دائرة الأدب الإسلامي، بل يعد فكراً محضاً، يثاب عليه صاحبه.^(١٧) ومع ذلك لا يقدر الأدب الإسلامي هذا الجمال لذاته، ولا يجعله غاية لذاته، كما كانت الحالة لدى مذهب الفن للفن. وإنما ينطلق

من هذا الجمال والفن إلى تحقيق الغاية والمنفعة، والتي هي أسمى شئ يسعى إليها الأدب الإسلامي.

ويجد الأديب المسلم أسوة حسنة من القرآن الكريم في قضية الجمال والاعتناء به، فهو كتاب أحكمت آياته، ثم فصلت، واشتمل على أحسن القصص، بل جميع آياته يتسم بالحسن والجمال، حتى عجز فرسان البلاغة من العرب من أن يجاريه في جماله وحسنه، فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله حينما تحداهم القرآن، من الأمس إلى اليوم، ولاعتناء القرآن بالعنصر الجمالي ضرب مثلاً للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة في قوله تعالى: "ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون" (سورة إبراهيم: ٢٥) يريد بالكلمة الطيبة عرضها الجميل ومحتواها النافع، ومثل لها بالشجرة الجميلة بثمرها الدائم الطيب. وبهذا المثل فتح القرآن الكريم للأديب المسلم عملياً سبيل الاهتمام إلى التأثير في نفوس الناس عن طريق التعبير الطيب الجميل.^(١٨)

لغة الأدب الإسلامي:

نشأ الأدب الإسلامي أول ما نشأ في أحضان الأدب العربي، وذلك عند مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإسلام والقرآن الكريم، حين وقف الكفار موقف المعاندة والعداوة ضد الإسلام ونبئيه، ووظفوا كل ما في طاقتهم لإطفاء نور الإسلام وعداوة نبئيه، فاضطر الرسول والمسلمون إلى أن يدافعوا عن دينهم بمثل عدة الأعداء وأسلحتهم. ونذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم في تحريض الأدباء المسلمين يومئذ على الرد على الكفار وإعلاء كلمة الإسلام في غضون أدب رفيع: "ما يمنع القوم نصرنا الرسول بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم".^{١٩} فابرى له حسان بن ثابت ومن معه من الشعراء المؤمنين، مدافعين عن الإسلام ومتغنين بشعائره وأخلاقه.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم والحديث النبوي يعتبران مصدرين أساسيين للأدب الإسلامي، حيث تظهر أثرهما جلياً على إنتاج أدبي منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وغیراً مسیره وأغنائه فكراً وأسلوباً، فاللغة التي أنزل الله بها القرآن الكريم والتي نشأ الأدب الإسلامي في أحضان أدبها هي اللغة الأولى للأدب الإسلامي، لكن هذا لا يعني قصر هذا الأدب فيها

وحدها، لأن تباين العالم الإسلامي واختلاف لغاتها يجعلان من الضروري أن يكتب هذا الأدب بلغات أخرى، بلغات العالم الإسلامي كلها، بل بلغات العالم كلها. وهذا يعطي الأدب الإسلامي بعدا لغويا ونظرة عالمية.

وفي الحقيقة إن أمل المسلمين في كل مكان وزمان هو أن تصبح اللغة العربية لغة المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي، في شؤونهم وحياتهم بما في ذلك الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية والأدبية، لكن الواقع أن كثيرا من سكان بلدان العالم الإسلامي يستعملون في حياتهم اليومية لغات محلية غير عربية، ويكتبون بها آدابهم ويسجلون بها تجاربهم الإسلامية، وهم يعيشون الحياة الإسلامية يحتكمون فيها إلى الله ورسوله، فيجب تشجيع هذه الأعمال الأدبية الإسلامية وترجمتها إلى العربية، ومن العربية إليها لعيش الفرد المسلم أحلام إخوانه المسلمين في أنحاء العالم. ولعلنا إذا نظرنا إلى الحكمة الإلهية في خلق الناس شعوبا مختلفة وقبائل متشعبة يتكلمون بألسن مختلفة، ولهم عادات متباينة، ومع ذلك تجمعهم عقيدة واحدة، ومنهج واحد، وتصور منفرد، وهو الاستسلام لله المبني على أساس التقوى والإيمان بالله، والاعتماد عليه، وذلك هو الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، ندرك أنه لا مانع للأدب الإسلامي أن يعرض في لغات شعوب مختلفة، وفي فنون أدبية متباينة، إذ سوف يجمعهم تصور إسلامي واحد ومنهج إسلامي واحد في التعبير عن التجارب الحياتية وفي تصوير الخلجات النفسية والوقائع اليومية.

ومن هنا يمكن القول بأن العبرة بالمضمون والمحتوي والرسالة، فكما يجب تبليغ الدعوة الإسلامية والوعي الإسلامي في ظلال لغات العالم كلها من دون قصر هذه الدعوة في اللغة العربية، كذلك يجب توظيف الفن الأدبي بلغات العالم كلها لأداء مهمة الدعوة إلى الله وترسيخ المنهج الإسلامي في قلوب الناس على جناح الفنون الأدبية المختلفة، الشعر منها والنثر، هذا إذا أدركنا ما للفنون الأدبية من التأثير والقوة في توجيه القلوب وتركيز النفوس.

بعض النماذج في الأدب الإسلامي:

موضوع القصيدة: طينة لحقت بطين:

يا نفس إن الحق ديني *** فتذلي، ثم استكيني

فإلى متى أنا غافل؟! *** يا نفس ويحك خبريني
 وإلى متى أبا ممسك *** بخلا بما ملكت يميني
 يا نفس لا تتضايقي *** وثقي بربك، واستعيني
 يا نفس أنت شحيحة *** والشح من ضعف اليقين
 يا نفس، توي من مؤاخاة *** الأخ البطر البطين
 وتعلقي بمعالق المكروب *** ذي القلب الحزين
 وتفكري بالموث أحيانا *** لعلك أن تليني
 فلتغشيني غشية *** يندي لسكرها جبيني
 ولتعلون المعولات *** هناك حولي بالرنين
 ولتجعلني بعد خلقي *** طينة لحقت بطين
 وليأتين عليّ تحت *** التّرب حين بعن حقت^(٢٠)

هذا النص في مناجاة النفس، وهو لإبي العتاهية الشاعر الإسلامي، فيه التوجيه والإرشاد إلى الطريق المستقيم الذي رسمه الإسلام في الكتاب والسنة للنفس المؤمنة، من الثقة بالله والتذلل والاستكابة له تعالى، والتوبة إليه، وطلب الاستعانة منه والتوكل عليه، ثم عدم الغفلة عنه وعن أحكامه وحدوده. صدرت تلك الأفكار والمعاني من التصور الإسلامي الصحيح. ومن الملاحظات المهمة في النص أن الشاعر زين القصيدة بألوان من أساليب المعاني، فهذا نداء متكرر، يجذب به النفس إلى حديثه، وذلك أمر متتابع، يتوسل به الشاعر إلى التوجيه والإرشاد، وثمة الاستفهامان المفيدان الانتباه والزجر عن الدنيا والأمراض النفسية: "إلى متى أنا غافل؟" و "إلى متى أنا ممسك؟"

موضوع القصيدة: آفة الكذب:

إن للكذب آفة فاتركوه *** إن أردتم ديمومة الإيمان
 أبشع الإثم في الحياة هو الكذ *** ب كبير الذنوب والعصيان
 يصرع الحق ظاماً بقواه *** وأخيراً فالخزي للعدوان

كيف يغتر كاذب صرّح الن *** ص بخسرانه مدى الأزمان؟
إحلال حق غير بحلف *** هو فعل الطغاة للإخوان
كل غنم تناله بختال *** يّمحي في الهواء كالدخان
مت عزيزا بتهمة الصدق خير *** من حياة تصان بالبهتان^(٢١)

هذا النص للشاعر الإسلامي الدكتور عيسى ألبوكر يعدد فيه مثالب الكذب وآفاته، محاولا إبعاد الناشئين وتنفيرهم عنه، فذكر من مثالبه أنه ينافي الإيمان الصادق بالله وهو من كبائر الذنوب وأبشعها، ويحلب الخسران للمتصف به، بل يعد المتصف به من الطغاة الباغين، وأن يموت الإنسان بسبب قول الحق والصدق خير له أن يمي بالكذب. والشاعر مستمد أفكاره ومعانيه من النصوص الإسلامية، وأما أبرز ظاهرة أسلوبية في النص فهو صورة بيانية عقدها الشاعر، المتمثلة في الملائكة الشديدة بين الكذب والصدق، حيث تكون الغلبة والقهر للكذب في أول الوهلة، لكن ينتصر الحق أخيرا ويسود، ويبوء الكذب بالخزي والخسران، وكما عقد تشبيها بين عاقبة الكذب وأثر الدخان في أن كل منهما يضمحل ويزول سريعا:

كل غنم تناله بختال *** يّمحي في الهواء كالدخان

الخاتمة

تلك بعض الملامح والخصائص حول قضايا الأدب الإسلامي المعاصر، وقد دارت مناقشتنا في تحديده وسماته ومجالاته ولغته، وعن القيم الجمالية فيه. حيث بيّنا أن الأدب الإسلامي متسم بالتصور الإسلامي الشامل في التعبير عن الإنسان والكون والحياة، وأنه ليس بأدب العقاقير، لذلك نراه يعني بالفكر والحق من دون تقديس العنصر الجمالي.

ومما يعد من أبرز سمات هذا الأدب أنه أدب عالمي، يستمد عالميته من عالمية الإسلام وشموله، وهو أدب الإنسان في كل حالاته ومواقفه، يصور خيره وشره، ويصف آماله وآلامه كما يقف عند سموه وهبوطه، وكذلك هو أدب الحياة بكل أبعادها وجوانبها، يتناول حياة الآخرة مثلما يتناول حياة الدنيا، ويجعل للإنسان في حياته الدنيا فاعلية غير متناقضة مع قدر الله وقدرته، ذلك الخالق المسير الوحيد للعالم بما فيه.

وعند الوقوف لدى لغة الأدب الإسلامي بيّنا أن اللغة العربية هي لغته الأولى إذ في طيها نشأ وتطور، وكان للقرآن الكريم والحديث النبوي أثر كبير وفضل جليل في تأصيله ونشأته، من غير قصر الأدب الإسلامي في العربية وحدها، وذلك لاختلاف لغات الشعوب الإسلامية الذي يقتضي كتابة هذا الأدب بلغات مختلفة، كما كانت الحالة في نشر الدعوة الإسلامية والوعي الإسلامي بلغات العالم كله، ليعيش الفرد المسلم أحلام إخوانه وآمالهم وآلامهم في كل مكان وزمان بمختلف اللغات في أرجاء العالم.

الهوامس:

- ١- الباشا، عبد الرحمن رأفت، (١٩٩٨م) نحو مذهب إسلامي في الأدب النقدي، ط ٤ دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، ص ١١٣.
- ٢- قطب، محمد، (١٩٩٣م) منهج الفن الإسلامي، ط ٨ دار الشروق، بيروت، ص ٦.
- ٣- بريغش، محمد حسن، (١٩٩٦م) الأدب الإسلامي أصوله وسماته، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ١١٤.
- ٤- شراد، شلتاغ عبود، (١٩٩٢م) الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ط ١ دار المعرفة، دمشق، ص ٥٤.
- ٥- قطب، المرجع السابق، ص ١٨٣.
- ٦- بريغش، المرجع السابق، ص ١١١.
- ٧- شراد، المرجع السابق والصفحة نفسها.
- ٨- نفس المرجع السابق، ص ٢٤.
- ٩- الباشا، عبد الرحمن رأفت، (١٩٩٨م) نحو مذهب إسلامي في الأدب النقدي، ط ٤ دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، ص ١١٠.
- ١٠- عبد الله، يعقوب الحاج (١٩٩٧م)، "الملاح الجاهلية في الأدب العباسي"، بحث مقدم إلى قسم الأديان، جامعة إلورن لنيل درجة الماجستير، ص ٢٤.
- ١١- قطب، المرجع السابق، ص ١٢٢.

- ١٢- الباشا، المرجع السابق، ص ١١٤.
- ١٣- نفس المرجع السابق، ص ١٠٩.
- ١٤- نفس المرجع السابق، ص ١٤٥.
- ١٥- بريغش، المرجع السابق، ص ١٣٤.
- ١٦- نفس المرجع السابق والصفحة.
- ١٧- شراد، المرجع السابق، ص ٨١.
- ١٨- نفس المرجع السابق، ص ١٠٩.
- ١٩- ضيف، شوقي، (١٩٩٦م) تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعرفة، القاهرة، ص ٤٧.
- ٢٠- الشنطي، محمد صالح، (١٩٩٣م) في الأدب الإسلامي قضايا وفنونه ونماذج منه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ص ١٦٤.
- ٢١- أبوبكر، عيسى ألي، (٢٠٠٨م) السبعيات، النهار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٤٩.

المراجع:

- أبوبكر، عيسى ألي، (٢٠٠٨م) السبعيات، النهار للطبع والنشر والتوزيع، مصر.
- الباشا، عبد الرحمن رأفت، (١٩٩٨م) نحو مذهب إسلامي في الأدب النقد، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة.
- بدر، عبد الباسط، (١٩٩٦م) مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى.
- بريغش، محمد حسن، (١٩٩٦م) الأدب الإسلامي أصوله وسماته، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الشنطي، محمد صالح، (١٩٩٣م) في الأدب الإسلامي قضايا وفنونه ونماذج منه، دار الأندلس للنشر والتوزيع.

شراد، شلتاغ عبود، (١٩٩٢م) الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ط ١، دار المعرفة، دمشق،

ضيف، شوقي، (١٩٩٦م) تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعرفة، مصر.
الكيلاي، نجيب، (١٩٨٧م) مدخل إلى الأدب الإسلامي، مطبعة الدوحة الحديثة، قطر،
الطبعة الأولى.

عبد الله، يعقوب الحاج (١٩٩٧م)، "الملاح الجاهلية في الأدب العباسي"، بحث مقدم إلى قسم
الأديان، جامعة إلورن لنيل درجة الماجستير.

قطب، محمد، (١٩٩٣م) منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثامنة.
الندوي، أبو حسن علي الحسيني، (١٩٩٠م)، نظرات في الأدب، دار النشر والتوزيع، عمان،
الطبعة الأولى.